الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني

القوة الإنجازية لأفعال الوعد والوعيد

أ.د. محمـــد مَـــدُّور

أستاذ اللغويات وتحليل الخطاب

جامعة غرداية، الجزائر

البريد الإلكتروني: meddour.medj@gmail.com

الاستلام	٢٠١٨/٢/١٧	المراجعة	٢٠١٨/٣/٢٥	النشر	٢٠١٨/٤/٣٠

ملخص:

تهتم التداولية بالجانب الاستعمالي للغة، وتعد نظرية الأفعال الكلامية مرتكزا أساسيا من مرتكزاتها، فهي المنطلق نحو التحليل، للتوصل إلى الدلالات من خلال المقام وسائر السياقات، وتحليل المسافات والعلاقات بين المتخاطبين، وتعد الوعديات صنفا من أصناف الأفعال بتقسيم الفيلسوف **جون سيرل**، باعتبارها أسلوبا من أساليب التعبير، يلجأ إليه المتكلم حين لا يجدي الترغيب وحده.

وتتناول هذه الدراسة تحليل عينات من الوعود والتعهدات والالتزامات Commissives في سياقها القرآني، بتوظيف المقاربة التداولية، بوصفها مكونا من مكونات البلاغة الجديدة، ويستخدم هذا المنهج الآليات البلاغية والنحوية والاستدلال والسياقات وقرائن الأحوال، وتبين الدراسة كيف تسهم المؤشرات اللغوية في تعديل القوة الإنجازية للوعديات.

الكلمات المفتاحية:

التداولية، الخطاب القرآني، القوة الإنجازية، الأفعال الكلامية.

Pragmatic and the new rhetoric

– The illocutor force for commissives speech acts in the Quaran-

Prof. Mohamed Meddour

Professor of Linguistics and Speech Analysis

Ghardaia University,

Algeria.

Email: meddour.medj@gmail.com

Received	17/2/2018	Revised	25/3/2018	Published	30/4/2018

Abstract:

Pragmatic is concerned with the use of language , and the theory of speech acts is one of its principal bases , it is the starting point for analysis , to arrive at semantics through the context of situation and other contexts , in addition to analyze the distances , and relation between the conversors .

This study deals with the analysis of samples of promises and commissives in the quaranic context by employing the pragmatic approach as a component of the new rhetoric.

The commissives are a class of acts by the division of John Searle as a method of expression, the speaker turns to it when persuasion is not useful.

This approach uses rhetorical and grammatical mechanisms, reasoning, contexts and case studies, the study shows how linguistic indicators contribute to the modification of illocutor force to the commisives.

Keywords:

Pragmatics, Illocutor force, Speech Acts.

مدخل :

مصطلح البلاغة الجديدة ظهر في الفترة المعاصرة في الدراسات الأوروبية، ويقصد منها العودة إلى بلاغة أرسطو والنظر إليها برؤية جديدة. فالبلاغة الجديدة بلاغات تمد النقد باستراتيجيات تحليل الخطاب، وقد اهتمت البلاغة الجديدة باتجاهات مختلفة: نظرية الحجاج، البلاغة العامة، بلاغة السرد، البلاغة الشعرية، بلاغة القراءة، التلقي **والتداولية** La Pragmatique. لأن البلاغة هي الكفيلة بتحليل الخطابات باعتبارها من صميم اللغة. وهي الجهاز المفاهيمي الأقدر على فهم وإنتاج الخطاب تخييلا وتداولا.

ويقف كثير من الباحثين العرب من هذه النظرية موقف التجديد والبحث من أمثال: محمد العمري ومحمد الولي ومحمد مفتاح وعبد الله صولة ومحمد العبد وغيرهم. ويسعون لفهم الأعمال الغربية، وإعادة النظر في الدرس البلاغي العربي، للكشف عن الزوايا المخفية من تراثنا البلاغي. ويظل رواد البلاغة العربية مرجعا أصيلا في النقد وتحليل الخطاب بتوظيف الآليات البلاغية من أمثال: الجاحظ والجرجاني والرماني والسكاكي وحازم القرطاجني وابن رشد وابن رشيق وغيرهم. والبلاغة الجديدة ترتبط بمختلف الاتجاهات والفروع المعرفية، فهي أيضا ذات صلة بالفلسفة التحليلية التي تعالج مشكلات الاستعمال اللغوي وأبعاده.

وتتناول هذه الدراسة تحليلا تداوليا لأفعال الوعد والوعيد، من خلال تطبيق نظرية الفعل الكلامي على الوعديات في النص القرآني ووسائله الاسلوبية ومؤشراته اللغوية، للكشف عن بعدها التداولي، وكيفية اشتغال الإنشائيات الوعدية في الخطاب القرآني، والبحث في الأغراض الإنجازية، ومعرفة القوة الإنجازية الصريحة والضمنية للوعديات وأثرها البلاغي، وكيف تسهم نظرية الأفعال بوصفها مقاربة تداولية في تقديم تحليل، يكشف عن وجه من وجوه الإعجاز البلاغي، ويواكب مفاهيم البلاغة الجديدة.

بين البلاغة والتداولية:

تلتقي البلاغة مع التداولية في كيفيات توصيل الرسالة إلى المتلقي، وقيامه بقراءة الرسالة وفك شفراتها، ويكاد كل من البلاغة والتداولية يتفقان على كثير من الآليات المشتركة مما جعلهما متداخلين، فإذا كانت البلاغة تهتم بالعلوم الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، فإن التداولية تهتم بالمقام والسياق وأفعال الكلام ومضمرات القول ومقاصد المتكلمين والمسافة واستراتيجيات الخطاب، وإن التداولية اهتمت أولا بوصف العلاقة بين العلامات ومن يستخدمونها، ثم لم تلبث أن حلت كلمة نصوص محل علامات، بحيث أصبحت التداولية تعنى بتحليل العلاقة بين النص ومن يستخدمه [1].

ومدار اهتمام كل من البلاغة والتداولية هو المعنى بمستوياته الصريحة والضمنية، فكلاهما حريص على إيصاله للسامع من أقرب طريق، مع نية التأثير فيه بإقناعه أو حمله على قبول أطروحة أو إدحاض رأي، ... الخ.

البلاغة الكلاسيكية بلاغة بيانية معيارية تعليمية، تربط فن البلاغة بالخطاب والإقناع والإمتاع والبيان، وتعين الخطيب أو الكاتب على الخطابة والإنشاء. أما البلاغة الجديدة فقد جمعت بين مجموعة من الاتجاهات الجديدة اللسانية، الأسلوبية، السيميولوجية، التداولية والحجاجية [2]. ثم توسعت البلاغة اليوم لتفكيك الخطابات بكل أشكالها السياسية، والأدبية، والإشهارية، وبلاغة الصورة، وآفاق أخرى. بحيث لم تقتصر البلاغة الجديدة على ما هو لساني في تحليل الخطابات، بل تجاوزه إلى بلاغة الحجاج عند **بيرلمان وتيتكا** (Perlman &Tyteca) وكذلك البلاغة السيميائية عند **رولان بارت** R.Barthes سواء كانت لفظية أم غير لفظية، ضمن ما يسمى بالسيمياء البصرية la Semiotique Visuelle.

نظرية الأفعال الكلامية:

وهي نظرية ذات خلفية فلسفية ومنطقية، ظهرت بجهود الفيلسوف **فتجنشتاين** Wittgenstein (١٨٩٨-١٩٥١). ثم تبناها الفيلسوف اللغوي **جون أوستين** Austin (١٩١١-١٩٦٠). وطورها تلميذه **جون سورل** Searle وتوصف نظرية الأفعال بأنها أحد أهم محاور الدرس التداولي الحديث، وهي مجال أساسي "لدراسة مقاصد المتكلم ونواياه، فالمقصد يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية، التي يتلفظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم الخطاب، ومن ثمة يصبح توفر القصد والنية مطلبا أساسيا، وشرطا من شروط نجاح الفعل اللغوي، الذي يجب أن يكون متحققا ودالا على معنى."[3]

وقد سعى الباحث **أوستين** Austin من خلال جهوده في جامعة **أوكسفورد** إلى رسم مسالك جديدة للدراسات التداولية انطلاقا من أن "إنشاء جملة لسانية هو في حد ذاته فعل لغوي ينتمي إلى نظرية اللغة، التي تعد جزء لا يتجزأ من نظرية الفعل، حيث يحقق فعل القول في إطارها أفعالا اعتقادية من قبيل: التأكيد، أو الأمر، أو النهي، أو الاستفهام، أو التعجب."[4] والهدف من استعمال الفعل اللغوي هو تغيير الواقع والتأثير فيه، لا مجرد أداة إخبار ووصف. يقول حسان الباهي: "اللغة ليست مجرد أداة للإخبار والوصف، بل وسيط لبناء الواقع والتأثير فيه وتحويله، وعليه فموضوع البحث يرتكز على ما نفعله بالتعابير التي نتلفظ بها (أفعال الكلام)"[5].

تعريف القوة الإنجازية: La Force Illocutoire

إن الفعل الكلامي يمتلك أغراضا إنجازية متباينة بتباين ملابسات استعماله، "وإن القوة الإنجازية خصيصة المنطوقات، فالمنطوق الواحد يمكن أن يمتلك قوى إنجازية مختلفة في ملابسات استعمال مختلفة. فالقوة الإنجازية إذن هي الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يعرض بأحدهما غرض إنجازي واحد [6] والغرض الإنجازي هو المعنى الذي يعبر عنه الأسلوب خبرا كان أو إنشاء، فالتركيب حامل لقوة إنجازية مباشرة وأخرى غير مباشرة"[٦]. ويظل المعنى الصريح ملازما للقوة الإنجازية غير مباشرة كما يقول **بول غرايس** ومن قبله **السكاكي**. ومن أبرز القوى الإنجازية المباشرة للفعل الكلامي: الأمر، النهي، والاستفهام ... الخ. وهي معان مباشرة تدرك من ظاهر الكلام. وأما القوى الإنجازية غير المباشرة فهي المعاني التي تعرف من سياق الكلام ومقاماته ومن العلاقات بين المتخاطبين، ومن طريق الاستلزام التخاطبي، وقرائن الأحوال. ولا يوجد قرائن بنيوية دالة عليها ومن ذلك: التحذير والتوبيخ والوعد والوعيد والتأديب والتأنيب والاعتذار ... الخ. ومفهوم القوة ليس وليد نظرية الأفعال الكلامية الغربية، وإنما هناك إشارات عند العلماء العرب إلى هذا المفهوم فقد ذكره الإمام **الألوسي** بدلالة قريبة من هذا المفهوم.

وحول تصنيف الأفعال يقول د/ محمود نحلة: "من هنا أرى أننا إذا عدلنا عن تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، وقسمناه تقسيما أوليا إلى أفعال يكون اللفظ بها إيقاعا لفعل، وأفعال تصف وقائع العالم الخارجي، أو تخبر بها (إيقاعية - وإخبارية) فسوف نضع اللبنة الأولى في بناء نظرية عربية للأفعال الكلامية، ونتخلص في الوقت نفسه من تقسيم مضطرب وملتبس."[7] فهو يميل إلى تصنيف فلاسفة اللغة المعاصرين وتقسيماتهم، ومن ثم فهو يدعو إلى تقسيم الأفعال الكلامية في اللغة العربية بالاستفادة من تقسيم أوستين Austin وسيرل Searle، وما وضعوه من ضوابط التقسيم بقوله: "وهكذا نرى أن من الممكن تقسيم الأفعال الكلامية العربية تقسيما خماسيا يطابق ما قدمه سيرل ويفيد من بعض ضوابطه، فيما عدا ما أطلق عليه سيرل Searle "الإعلانيات" وأطلقنا عليه "الإيقاعيات"، لإنسجامه مع طبيعة الاستعمال في اللغة العربية، فضلا عن أننا اخترنا أن نطلق على قسم منها "الطلبيات"، واختار أن يطلق عليه "التوجيهيات". ولسنا نزعم أن ما قدمناه من تقسيم للأفعال استوفى كل الأغراض التي يريد المتكلم أن

يحققها بكلامه، ولكنها محاولة للتقسيم أقرب إلى واقع الاستعمال، منها إلى نوازع الاستدلال، وظواهر الأشكال."[8] ومن جهة أخرى فهو يرى أن منطلق التفكير في هذه النظرية واحد.

وأما منطلق **أوستين** Austin لوضع نظرية الأفعال هي: أن من الكلام ما يكون فعلا، أو إيقاع لفعل بلفظ يقارنه في الوجود.[9]

تعريف الوعديات:

الوعديات وهي ما يتعهد به المتكلم من التزامات ووعود تجاه المخاطب، ويندرج تحت هذا الصنف أفعال: الترغيب والترهيب، التهديد والتخويف، الزجر والتحذير. وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، ويسمى **الغرض الوعدي**، وأطلق عليها جورج يول G.Youl: "الملزمات، وهي تعبير عما ينويه المتكلم من وعود وتهديدات وتعهدات"[10]. بحيث يأخذ المتكلم على عاتقه جعل العالم ملائما للكلمات، والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلم شيئا في المستقبل. "لقد كان أوستين أول من لاحظ أن الأقوال الأدائية - مثل المواعيد- تتضمن التزاما معينا من جانب المتكلم، الذي يفعل ما يقوله عند قوله. فبقوله: "أعد بذلك"، هو في الواقع "يِعد" أي يجعل نفسه ملزما بفعل ما يقول إنه يفعله."[11] والشرط المعد هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم نفسه به.[12] بمعنى (س ينوي ص). ويندرج فعل التهديد ضمن صنف الوعديات Commissives بتعبير سيرل. وشرط الإخلاص فيه هو القصد Intention.[13]

الوعد والوعيد في القرآن:

الوعديات كثيرة في القرآن الكريم. وتأتي غالبا في سياق ذكر العواقب، وذكر العواقب من الآليات المباشرة والصريحة التي يوجهها المرسل، مرتبة على مجموعة من الأوامر والنواهي، وتختم بإظهار العاقبة في الأخير، أو ما يسمى بالجزاء. وأفعال الوعيد تصحبها إدانة غالبا نحو قوله تعالى: ﴿إنكم مجرمون﴾ في الآية ﴿كلوا وتمتعوا قليلا﴾ [المرسلات ٤٦]. ويتعلق فعل **الوعيد** بمعنى **التحذير** من مخالفة ما أمر الله به، وبمعنى **الترهيب** من مخالفة التشريع الإلهي. "ذلك أن من النفوس ما لا يجدي بها الترغيب وحده، بل لابد لها من الترهيب والوعيد، فهو لذلك يقدم مثلا من سنن الله في الذين خلوا، وما أصابهم من عذاب بسبب كفرهم وجحودهم. ويشفع ذلك بالتهديد بوقوع مثل ذلك العذاب الذي لقيه الأولون، ويضاف إلى ذلك عذاب الآخرة الذي وعد به المكذبون."[14]، **والوعد الالهي** صادق وهو وعد الشرائع ووعيدها: "لأن الله تعالى يخبر عن معلوم، وكل ما تعلق به العلم تجب مطابقته فيكون الوعد به خبرا صادقا، نقول هذا بمعزل عن جدل المتكلمين وأصحاب الفرق في مسائل خلف الوعد. أما **وعود البشر** فأمرها يختلف، فالواعد إنما ألزم نفسه أن يفعل فعلا ما، مع تجويز أن يقع ذلك منه، أو أن لا يقع. فلا تكون المطابقة وعدمها معلومين ولا واقعين، فانتفيا بالكلية وقت الإخبار."[15]

- أما **الوعد الشيطاني** الذي تردد كثيرا في الخطاب القرآني فهو مجرد ادعاء وكذب، وإضلال وأماني باطلة وإغراء قولي، قال تعالى: (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) [النساء ١١٩]. ويشترط سيرل J. Searle في الشرط المعد للوعديات أن يكون المتكلم قادرا على إنجاز وعده، فإن لم يكن قادرا فكلامه ليس وعدا، إنما هو ادعاء. وكذلك شرط المحتوى القضوي فيها هو: فعل المتكلم شيئا في المستقبل، وهو لا يفعل. بالإضافة إلى انتفاء الغرض الإنجازي بعدم التزام المتكلم بالفعل في المستقبل، وكذلك انتفاء شرط الإخلاص الذي هو القصد، وعلى هذا فإن وعود الشيطان كلها ليست وعودا.

الترغيب والإغراء: وهما فعلان من فروع الوعديات، ويراد بالترغيب: وسيلة الإقناع والحث على العمل الصالح، بمخاطبة المشاعر، وتحريك الرغبات الكامنة، وذلك بإغراء النفوس بما ينتظرها من ثواب وعقاب.

تحليل أمثلة من أفعال الوعد والوعيد في القرآن: نورد فيما يلي، تحليل أمثلة متعلقة بأفعال الوعد والوعيد في الخطاب القرآني. بتوظيف الآليات التداولية واللسانية وبعض الخصائص الأسلوبية من منظور المنهج التوافقي.

- **الوعد والوعيد وسيلة تبليغ:**

من وسائل تبليغ الدعوة: الوعيد، الإنكار، السخرية، الحوار، التكذيب، الحجاج، الرد، والتنزيه وغيرها. أما **الوعيد** فقد استخدم للرد على ادعاءات الخصوم، ففي سياق الحديث عن تخلف بعض المسلمين عن غزوة تبوك، وكرهوا أن يجاهدوا، فوصف القرآن ما تناصحوا به: (و قالوا لا تنفروا في الحر) ثم جاءهم الرد **بالوعيد** الشديد. في قوله تعالى: (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا و ليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) [التوبة٨١].

جاءت هذه الآيات في مقام الدعوة تعبر بالمحاورة والرد الهادئ، وباستخدام الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد بالرد عليهم بأنهم: "إنما توقوا أيسر الحرين، وأن حر جهنم في انتظارهم، فإذا ضحكوا الآن فإن ضحكهم قصير الأمد، لكونه مؤقتا بتوقيت حياتهم الدنيا، أما بعد ذلك فبكاء دائم في جهنم جزاء بما اقترفوا من إثم"[16].

وتتشكل بنية الفعل الكلامي الوعدي في هذه كما يلي:

(وقالوا لا تنفروا في الحر) فقد جاء التعبير في هذه الآية معبرا عن فعل كلامي مباشر هو **الإخبار** عن حال هؤلاء المنافقين، ووراء الإخبار فعل كلامي متضمن في القول هو **النهي** بعدم الخروج في الحر، كما يدل الإخبار على فعل متضمن في القول هو : **التثبيت** و حث إخوانهم على القعود . أما الجواب فقد جاء في قوله:

(قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) وتتضمن هذه العبارة ما يلي:

فعل **الإخبار**: وهو فعل مباشر صريح دلت عليه البنية اللغوية، التي تنقل إلينا هذا الخبر، الذي أمر الله به نبيه بتبليغه، ووراء هذا الإخبار أفعال متضمنة في القول وهي: التجهيل والرد والتقريع والتذكير، ومحل التذكير أن الأمر معلوم بأن النار أحر من القيظ [17]. كما يتضمن الإخبار تعريضا بالمؤمنين الذين تخلفوا عن الخروج.

أما قوله تعالى: (لو كانوا يفقهون): ففيه **تذييل** مؤكد لمضمونه، وبه ختم سلسلة الأفعال لينتقل إلى الوعيد الحقيقي في قوله تعالى: (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاءا بما كانوا يكسبون). وبنية الوعيد فيه كما يلي:

فالعبارة تتكون من فعل كلامي مباشر هو: **الأمر**. وعبر بصيغة الأمر للدلالة على تحتم وقوع الموعود به، وعدل عن صيغة الإخبار حتى لا تحتمل الصدق والكذب، واختار صيغة الأمر للوجوب والمبالغة لاقتضائه تحقق المأمور به[18]، ودل الأمر على فعل آخر هو **الإخبار** عن عاجل أمرهم وآجله، ويدل الأمر على فعل كلامي غير مباشر متضمن في القول هو **الوعيد**: (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا)، وهذا الفعل يدرك عن طريق الاستلزام وقرائن الأحوال. وفي مجمل القول فان السياق قد أخبر فأمر ثم نهى وذكَّر وثبَّت وقرَّع ورد فأبطل ثم عرَّض وتوعَّد.

وقد حققت هذه الأفعال بهذا الترتيب وظيفة حجاجية تنطلق من موقف يتضمن دعوى المنافقين وهي: التثاقل عن القتال في الحر، ثم جاء الجواب الذي أبطل دعواهم وهو قوله تعالى: (قل نار جهنم أشد حرا) وهو رد فيه تقريع وتعريض، وختم بفعل **الوعيد** كنتيجة حتمية تنتظرهم وهي البكاء والندم الطويل.

أما قوله تعالى: (جزاءا بما كانوا يكسبون) ففيه أن هذا الوعيد الشديد هو نتيجة مقابلة لعملهم المكتسب، الذي كانوا يعملونه ولا يزالون، وعبر عن ذلك بصيغتي الماضي والمستقبل (كانوا - يكسبون).

أما الفعل التأثيري فهو موجود في جواب لو المحذوف والمقدر (لو كانوا يفقهون). فلو فقهوا مااكتسبوا الاثم.

وبنفس الشروط التأسيسية السابقة يورد القرآن موقفا آخر في نفس السياق في قوله تعالى: (يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم) ثم يأتي الرد الذي يتضمن الوعيد في:

قوله تعالى: (يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) [التوبة ٩٤]

جاءت الآية في سياق الإخبار أن الرسول وأصحابه عادوا من الغزو، فجاء المخلفون ينتحلون الأعذار الملفقة لتخلفهم، ففضحهم الله بأن أمر نبيهم بأن يرفض أعذارهم وألا يصدقهم، وأن يكشف لهم عن إخبار الله إياه بحقيقة أمرهم، ثم أوعدهم بأن الله يعلم سرهم ونجواهم، وأن أعمالهم ستعرض عليه، وسيحاسبون بها يوم القيامة.

أما بنية الفعل الوعدي فتتشكل كما يلي:

فعل الاعتذار: وهو فعل كلامي صريح في قوله تعالى: ﴿ يعتذرون إليكم﴾ تستروا به عن تخلفهم عن الخروج للقتال في الحر، فقد قدموا حجة مبطلا أن يكون ذلك العذر هو الصارف لهم عن المشاركة في الجهاد، مع إثبات أن الصارف لهم هو الحر.[19] فاعتذارهم ناتج عن الكسل وهروب من آداء الواجب. والفعل الكلامي الاعتذاري يعد من الأفعال الكلامية التعبيرية، وهو هنا يفتقر إلى شروط الملاءمة، فهو لا يتضمن فعلا مطلوبا في المستقبل. كما يفتقر إلى الشرط التمهيدي، لأن المتكلم وهم المنافقون لا يتوجهون إلى المخاطب بفعل طلبي، كما يفتقر إلى الشرط الأساسي لافتقاره لعنصر التأثير، فهو يعبر عن المشاعر الداخلية فقط. ومن ثم فإن اتجاه المطابقة، اتجاه فارغ. وغرض المتكلم الإنجازي هو التعبير عن الحالة النفسية المتعلقة بوجدان المتكلم، ويبرر به غيابهم وخذلانهم، ولا تقتضي بالضرورة مشاركة من المتلقين. لأنه لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي، وطبع المنافقين الراسخ في سلوكهم هو انغلاقهم وحسدهم للمؤمنين أن يتحقق لهم نصر أو تقدم، ولذلك بكتهم الله بالحجة في قوله: (قل لا تعتذروا) تدل هذه الآية على فعل كلامي مباشر هو: **النهي** عن الاعتذار "أي لا تفعلوا الاعتذار"[20].

فهذه الوظيفة الحجاجية تبطل اعتذارهم الكاذب بقولهم (لا تنفروا في الحر) ويمكن اعتبار هذا الفعل الكلامي الاعتذاري فعلا غير ناجح، لإنتفاء شرط التصديق، فالتصديق الذي هو مطابقة القول للمعتقد[21]. بأن هذا اعتذار كاذب ستر المنافقون به تخاذلهم وكسلهم وميلهم إلى الراحة، وأن السياق القرآني أبطل عذرهم بحجة قاطعة (قد نبأنا الله من أخباركم)، وقرينة خفاء خبرهم هو لفظ (نبأنا) فهو إخبار مسند إلى الله، والخبر من الله صادق، وجمع ضمير المتكلم في موضعين هما: (نؤمن – ونبأنا) للمبالغة في حسم أطماع المنافقين المعتذرين[22]، كما أن الشروط المعدة اللازم تحققها ليكون الفعل صحيحا غير مكتملة. "فيكون الاعتذار فاسدا، إذا لم يكن الأمر المتعذر عنه سيئا."[22] فالمنافقون اعتذروا عن الخروج للجهاد وهذا أمر لا يتعذر منه إلا للضرورة. ولاحظ **سيرل وفاندرفكن** انتفاء شرط الصراحة عن بعض الأفعال، لأن المتكلم من الممكن أن يعبر عن حالة نفسية لا ينطوي عليها، وهذا هو سبيل التمييز بين الفعل الكلامي الصريح وغير الصريح. فالثاني يعبر عن حالة نفسية رغم عدم إنطوائه عليها واقعا. فهذا الاعتذار هو إخبار غير صريح (كذب)، هو الذي لا يعتقد قائله بمضمونه؛ فالمنافقون هنا يخالف قولهم مضمونه، ولذلك جاء فعل التبكيت يكشف هذا الفساد بقوله تعالى: ﴿قل لن نومن لكم﴾. "والفعل الكلامي غير الصريح فاسد، لكنه غير باطل"[23] فالهدف إذن من هذا الفعل هو: "التعبير عن حالة نفسية محددة، بشرط عقد النية والصدق في محتوى الخطاب عن تلك الأمور المحددة."[24]

ويتضمن النهي فعلا متضمنا في القول هو: **التأييس** ويدل عليه قوله (لن نؤمن) الذي ينص على **نفي** التصديق.

وفي قوله: (وسيرى الله عملكم ورسوله) في هذه العبارة فعل كلامي مباشر هو: **الإخبار** برؤية الله ورسوله الأعمال في المستقبل. ويتضمن الإخبار فعل كلامي غير مباشر يدل عليه المقام وهو: الترغيب والترهيب.

أما **الترغيب**: فهو في العمل الصالح باستشعار علم الله واطلاعه.

أما **الترهيب**: فهو من دوام المخاطبين على حالهم.

فمدار الوعيد هو علمه عز وجل واطلاعه على أعمالهم، وأسهمت المؤشرات اللغوية وتراكيبها في تعديل القوة الإنجازية لفعل الوعيد، فالسين في الفعل (سيرى) تفيد التنفيس؛ أي استتابتهم وإمهالهم للتوبة وتنبيه إلى المكنة من استدراك أمرهم وتهديدهم **بالوعيد** إن لم يتوبوا[25].

وكذلك تعدلت القوة الإنجازية بتقديم مفعول الرؤية على الفاعل، للدلالة على اختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما، وبأن مدار الوعيد هو علم الله بأعمالهم، وكذلك العدول بوضع الوصف موضع الضمير في قوله تعالى: (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة)، **لتأكيد** الترغيب والترهيب وتقوية الوعيد، فإن علمه سبحانه بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة، وإحاطته بأحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم[26].

وكذلك في تقديم لفظ الغيب على الشهادة، للدلالة على أن علمه تعالى محيط بسائر الأشياء، السر منها والعلن.

وفي قوله تعالى: (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليه) ففي هذه العبارة فعل كلامي مباشر هو: **الإخبار**. بما سيقوله المخلفون، وقد أخبر به قبل وقوعه، ويتضمن الإخبار فعل كلامي غير مباشر، هو فعل **التنبيه** على كذبهم ومخادعتهم للمسلمين، كما نبه إلى أنهم سيحلفون بالله تأكيدا لمعاذيرهم الكاذبة، وقيد حلفهم به ليصفحوا عنهم. كما تضمن الإخبار الحث على الإعراض عنهم، إعراض اجتناب ومقت، وإظهارا للسخط الذي تدل عليه جملة التعليل (إنهم رجس)[27]. أما الوعيد فتلخصه عبارتان:

- الأولى في قوله تعالى: (فينبؤكم بما كنتم تعملون) والمراد بالتنبئة على العمل: المجازاة عليه.
- الثانية في قوله تعالى: (ومأواهم جهنم) وهو المصير النهائي الذي حذرت منه الآيات السابقة. وبذلك يكون السياق القرآني قد أخبر فأمر، ونهى فنفى، وكذَّب وأيَّسَ ورغَّب ورهَّب، ونبَّه وأكَّد وزجر وتوعَّد.

- **الرد على التحدي بالوعيد:**

يورد السياق القرآني موقفا يرد فيه على تحدي المشركين مستخدما أسلوب الوعيد.

في قوله تعالى: (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) [سورة الأنبياء ٤١]

لقد تساءل الكفار بشيء من التحدي والاستهزاء عن وقت يوم القيامة، فرد عليهم القرآن بكيفية عذابهم جاعلا **الوعيد** ردا على التحدي. "وفي جواب **لو** من إفادة التعميم ما يفهم منه أمران: شدة العذاب وشدة الفزع، ثم أضاف ردا على السؤال عن التوقيت بجواب من جنسه بقوله: (بل تأتيهم بغتة) وبشيء من أثر المفاجأة عليهم بقوله تعالى: (فتبهتهم فلا يستطيعون ردها)"[28].

وتتشكل بنية الفعل الوعدي في هذه الآية (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) كما يلي:

من فعل كلامي مباشر هو: **الإخبار** عن أسئلة المشركين. ويشتمل الإخبار عن فعل متضمن في القول هو استفهام المشركين عن وقت وقوع النصر، استعجالا بطريق التهكم، ويتضمن أيضا كلا من: أفعال الاستهزاء والإنكار

والتكذيب والاستبطاء. ويتضمن الاستفهام طلب الإتيان بالوعد، فكأنه قيل: إن كنتم صادقين فليأتنا بسرعة[29]. والمراد بالوعد ما توعد الله به المشركين بالنصر عليهم، والفعل التأثيري في جواب (لو)، حيث تذهب نفس السامع كل مذهب، فلا يكون على ما هم عليه من الكفر، فلو علموا وقته وأيقنوا بحصوله لما كذبوا به[30].

وأما في قوله تعالى: (فلقد استهزئ برسل من قبلك) ففيه فعلان كلاميان هما: **إخبار** دلت عليه صيغة الجملة، ووراء الإخبار فعل متضمن في القول هو: **التسلية**. أي تسلية قلب الرسول عن استهزائهم.

أما تتمة الوعيد فقد جاء في قوله: (بل تأتيهم بغتة) ففيه تهديد بأن ذلك يحل بهم بغتة، وفيه تنبيه إلى أنهم أنظروا زمنا طويلا، وتعدلت القوة الإنجازية بتقوية الوعيد بعدم التأجيل (ولا هم ينظرون)، وفيه أيضا تذكير بإمهالهم في الدنيا. وفعل الوعد ينتمي إلى صنف أفعال **الإلتزام** أو **(التعهد)**، بتعبير **أوستين** Austin التي يقول عنها: "إن النقطة الأساسية في التعهد هي أن يلتزم المتكلم من خلال الفعل الذي ينطقه بتصرف أو نشاط معين "[31].

وفي مثال آخر يرد فيه على التحدي بالوعيد.

كان النبي يحذر قريشا من عذاب الله، ويتوعدهم بمجيئه وهم ينكرون ذلك، ويطلبون مجيئه استهزاء وتعجيزا له، قال تعالى: (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) [الحج ٤٧]

أراد المشركون تحدي النبي (ص) فطلبوا أن يدعو ربه أن يعجل لهم العذاب، فرد الله تعالى عليهم بأنه وعد بتعذيب الكافرين، ولن يخلف الله وعده، ولكن التوقيت إنما يكون بأيام الله لا بأيام الأرض، فإذا طال الإمهال فذلك لا يعني الإهمال[32].

وتقوم بنية الفعل الوعدي على الإخبار بصيغة المضارع إشارة إلى التكرير والتجديد في قوله تعالى:

(ويستعجلونك بالعذاب) ويتضمن الإخبار فعل كلامي غير مباشر هو: **الاستفهام** الدال على طلب تعجيل العذاب إستهزاءا وسخرية، كما يتضمن الإخبار أفعالا غير مباشرة هي: التعجيز والتعريض.

أما التعجيز: فيريد به المشركون إبطال نبوة محمد (ص).

أما التعريض: فهو يعود عليهم لتوقعهم بأن العذاب غير واقع.

ويتضمن الرد في قوله تعالى: (ولن يخلف الله وعده) مجموعة من الأفعال الكلامية، فالصيغة تدل على خبر منفي (لن يخلف)، ويتضمن الإخبار فعل كلامي غير مباشر هو: الإبطال أي الرد على إنكارهم العذاب، والاعتراض على الاستعجال ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود مع تأكيد وقوعه، كما تضمن الإخبار فعلا كلاميا غير مباشر مستلزم مقاميا هو: تأنيس النبي (ص) وتثبيت المؤمنين، وأكد الوعيد بقوله: (إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) والذي يتضمن قوتين إنجازيتين هما:

- الخبر المستعمل في التعريض بالوعيد.
- إنذار المشركين بأن عذاب الآخرة لا يفلتون منه[33].

ويتمثل البعد الحجاجي لهذا الوعيد في إبطال دعوى المشركين ودحض زعمهم، بإقامة الحجة على إنكارهم، مبينا أن سوء فهمهم ناتج على إستكبارهم واستطالتهم وإستعجالهم، ومبينا أن الحساب لا يكون بأيام الأرض إنما يكون بأيام الله.

- **الوعيد على القتل العمد:**

في سياق أحداث المجتمع في فترة الوحي، جاءت قصة مقيس ابن ضبابة الكناني ومقتل أخيه هشام، فلما أخبر النبي (ص) أرسل مقيسا ابن ضبابة لإحضار القاتل أو استلام الدية، فأعطيت له الدية مائة ناقة، ثم نزلت آيات فيها وعيد على القتل العمد في:

قوله تعالى: (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) [النساء ٩٣]

ولم يرد في الكبائر أعظم من هذا الوعيد، حيث جاء الوعيد في صيغة الإخبار، عن جزاء القاتل وخلوده في النار، وجاء ذلك في أسلوب الشرط للدلالة على أن المحاسبة على حسب ذلك العمل في الدنيا، فقد تضمنت الآية تهديدا شديدا **ووعيدا** قويا وتغليظا في الزجر تذكر حكم القتل العمد الأخروي، مقتصرا على ما فيه من الإثم والوعيد.

تتضمن الآية فعلا كلاميا غير مباشر هو الوعيد. أي أن الله توعد الكافرين بالنار يوم القيامة. وعند ملاحظة شروط التحقيق الناجح للأفعال الإنجازية التي وضعها **سيرل** Searle خاصة منها: أن يكون المتكلم ذا سلطة على المامور والمتكلم هو الله وهوقادر على انجاز ما وعد به من عقاب المعتدين.

فعل الوعد L'acte de promesse: نجد شروط المحتوى القضوي التي تفرض ورود الفعل الإنجازي المقصود داخل سياق. وهو هنا حادثة قتل مؤمن عمدا ﴿ومن قتل مؤمنا متعمدا...﴾.

فالله عز وجل هو صاحب السلطة الإلهية المطلقة، والقادر على إنجاز ما وعد به من عقاب الكافرين. وأما شروط **الجدية**: فتقتضي من المتكلم أن يكون جادا في كلامه، قاصدا إلى تحقيق مضمون الفعل الإنجازي وهو هنا: إعلام المخاطب بما يترتب عن الوقوع في المحظور، وما أعد للكافرين من عذاب، وأن يكون الواعد في حالة فعل الوعد **قصد** تنفيذ ما وعد به. وهذا أمر معلوم في صفات المتكلم الذي لا يخلف الميعاد[34]*.

والشروط السابقة محكومة بشرط أساسي، هو توافر الظروف العادية لسلامة مجرى الكلام، ابتداء من المتكلم (الله عز وجل)، وانتهاء بالمخاطب وهم (المكلفون)، مرورا بقناة التواصل بينهما ممثلة في الوحي المنزل على الرسول (ص)، وما يتضمنه من قواعد وتوجيهات، بلغت إلى الناس كافة[35].

وجاءت بنية فعل **الوعيد** في الصورة التالية:

من يقتل مؤمنا متعمدا ←
- إخبار و تقرير. قوة انجازية مباشرة
- نهي. قوة انجازية مستلزمة
- وعيد وتأكيد. قوة إنجازية مستلزمة

وجاءت المؤشرات اللغوية لتعديل القوة الإنجازية نحو تقوية **الوعيد**، بذكر الجزاء المترتب على القتل، وهو الخلود في جهنم للدلالة على المكث الطويل، وفي ذلك وعيد شديد، وكذلك حمل الماضي (غضب) على معنى المستقبل للدلالة على الانتقام والاستمرار، ثم التعبير باللعن وهو الإبعاد عن الرحمة، ثم ذكر ما أعد له من عذاب عظيم، وما فيه من إخبار عن استحقاق[36].

- **الوعد بوراثة الأرض:**

قال تعالى: (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) [النور ٥٥].

جمعت هذه الآية بين الوعد والوعيد، والوعد كان بالاستخلاف والتمكين، أما الوعيد فهو على التبديل والكفر. وبدأ بالوعد معربا عنه عن طريق التصريح، في صيغة الإخبار، وعد بالاستخلاف والتمكين لهم في الأرض.

وتتفاوت مستويات القوة الإنجازية للوعديات، حيث تكون هذه الأفعال في أوج قوتها عند التعبير عن الالتزام باستخدام فعل إنجازي مدعم بالقسم. وقد تتراخى درجة التعبير عن هذه القوة عندما يقوم المتكلم بمجرد الوعد[37]. ففي الآية عبر السياق "بإضمار قسم مبالغة في وقوعه؛ لأن القسم يؤكد مضمون الجملة المقسم عليها."[38]

وأكد هذا الوعد بصيغة القسم (ليستخلفنهم) واللام الواقعة في جواب القسم المحذوف، ويجوز أن ينزل وعده تعالى لتحقق إنجازه لا محالة، وصدَّر الوعد بالحظوظ العاجلة التي تميل إليها النفوس، وقدم الجار والمجرور لبيان كون الموعود به من منافعهم، مع التشويق إلى المؤخر.

وانتظم في سلك الوعد مجموعة من العناصر منها: الاستخلاف، التمكين، تبديل الخوف أمنا، والثبات على التوحيد (يعبدونني) والذي عبر عنه بالمضارع، الدال على الاستمرار والتجدد والمبالغة في الأمن.

أما الوعيد فقد عبر عنه بصيغة الإخبار الذي دلت عليه البنية التركيبية (ومن كفر بعد ذلك) ويقصد من ارتد من المؤمنين بعد حصول الموعود به، ولتقوية إنجازية هذا الفعل عبر بصيغة الماضي (من كفر) لتحقق حصوله.

ووراء الإخبار فعل **الوعيد** المتضمن في القول عبر عنه بقوله: (فأولئك هم الفاسقون) وهم المرتدون البعداء، ووصفهم باسم الإشارة (أولئك) تبعيدا لهم، وفي هذا ترغيب وترهيب وتعظيم لقدر الموعود به، بحيث لا يبقى بعد حصوله عذر لمن يرتد، وجزاء الفاسقين معلوم، وهذه هي نتيجة الوعيد.

- **ومن قبيل الوعيد بالاستفهام:**

قوله تعالى: (آمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) [سورة الملك١٦]

تتضمن هذه الآية وعيدا. غرضه الحث على التأمل والتدبر، وإثارة الأذهان عن السؤال، وهنا كان السؤال عن الأمن وما فيه من معنى النهي (لا تامنوا) في بنيته العميقة وهذا هو الوعيد[39].

فالوعيد هنا قوة إنجازية مستلزمة، لكن المعنى الصريح يظل ملازما للمعاني المستلزمة، كما قرر السكاكي قديما وغرايس حديثا. وهنا يظل المعنى الصريح (الاستفهام) ملازما للمعنى المستلزم لا ينفك عنه، فدلالته تابعة للدلالة الأصلية للعبارة، أما القوة الإنجازية المستلزمة (نهي + وعيد) فهي مربوطة مقاميا بحيث لا يتم تولدها إلا في طبقات مقامية معينة، ويمكن تمثيل ذلك في الشكل التالي:

(آمنتم من في السماء) ←
- **الاستفهام**. دلت عليه الصيغة اللغوية (أأمنتم) فعل صريح تمثل في البنية السطحية
- **النهي**. قوة إنجازية غير مباشرة تمثل في البنية العميقة (لا تأمنوا)
- **الوعيد**. قوة إنجازية مستلزمة مقاميا

قال الله تعالى: (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) [الذاريات ٦٠].

الفعل الكلامي المباشر في الآية هو: الإخبار عن مصير الكافرين. والمحتوى القضوي هو: شدة العذاب. ويبقى المعنى الصريح. والفعل الكلامي المتضمن في القول التقريري هنا هو الوعيد بالعذاب العظيم، مع نفي الإيمان عن تلك

الفئة المذكورة من الكافرين موضع آخر قوله تعالى: (فلا يخفف عنهم العذاب) قال الألوسي: "إنا ندعي أن أخبار الوعيد، في الكفار مشروطة بعدم العفو، وإن لم يكن هذا الشرط مذكورا صريحا ... على أنه يحتمل أن تكون تلك الجمل دعائية، أو إخبارية، لكن الإخبار عن استحقاق الوقوع، لا عن الوقوع نفسه."[40] **والشرط** العام للمحتوى القضوي هو وعيد في المستقبل بالعذاب العظيم وعده الله للكافرين، والشرط المعد له هو قدرة المتكلم على أداء ما وعد به، ومن ثم فهو المسؤول عن إحداث المطابقة.

ولتدعيم القوة الإنجازية لفعل الوعيد جاء بلفظ (الويل) إبرازا وتقوية لهذا الوعيد.

- **الوعد الشيطاني:**

تناول القرآن صنفا من الوعد الذي جاء على لسان الشيطان، وكان مجرد وعد قولي، ثبت إخلافه فمن ذلك:

قوله تعالى: (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم)[سورة ابراهيم ٢٢]

وكان وعدا كاذبا باعتراف الشيطان (ووعدتكم فأخلفتكم) لأنه لا يستطيع أن يفي بوعده، وهو بذلك بمعايير **جون سيرل** ليس وعدا، إنما هو مجرد أقوال وتغرير لأتباعه، وفي مقابل ذلك أقر الشيطان بصدق الوعد الإلهي وأكده، ووصفه بأنه حق في قوله: (إن الله وعدكم وعد الحق). وأكده بأقوى المؤكدات فيما هو لم يؤكد وعده.

ومن أفعال الوعد الشيطاني التي ذكرها القرآن نورد ما يلي:

في قوله تعالى: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ...) فعل كلامي إخباري مباشر. أخبر فيه بما سيكون فقد ذكر السياق أحد أسباب تيمم الخبيث في الإنفاق، لأن الشيطان يغري الناس بالشح أو بإعطاء الرديء والخبيث، ويخوفهم من الفقر. ويتضمن الإخبار فعلا كلاميا غير مباشر هو **الوعد**. والوعد في أصل وضعه لغة، شائع في الخير والشر، وأما في الاستعمال الشائع فالوعد في الخير، وألا يعاد في الشر حتى يُحمل خلافه على المجاز والتهكم. وقد استعمل هنا في الشر؛ لأن الفقر مما يراه الإنسان شرا، ولهذا يخوف الشيطان به المتصدقين، فيقول لهم: لا تنفقوا الجيد من أموالكم فإن ذلك مفقر.

ولتدعيم القوة الإنجازية لفعل **الوعد**. قدم السياق وعد الشيطان على أمره (يعدكم، يأمركم)؛ لأنه بالوعد يحصل الاطمئنان إليه ويستقر الجانب الوجداني. وقوله: (يأمركم بالفحشاء). الأمر هنا بمعنى الإغراء بالفعل والحث عليه، وفيه تصريح بما علم ضمنا من الوعد، مبالغة في توهين أمر الشيطان، وقدم اسم الشيطان مسندا إليه؛ لأن في تقديمه دلالة على ذم المحتوى القضوي الذي سيق له الكلام لتحذير المسلمين من هذا الحكم؛ ولأن في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي تقوية لفعل التحذير . وسمى الإخبار بحصول أمر في المستقبل **وعدا** مجازا؛ لأن الوعد إخبار بحصول شيء في المستقبل من جهة المخبر، وإطلاق الأمر على وسوسة الشيطان وتأثير قوته في النفوس مجازا؛ لأن الأمر في الحقيقة من أقسام الكلام[41].

وفي مقابل وعد الشيطان ذكرالسياق وعد الله (والله يعدكم مغفرة منه)؛ أي أن الله يعدكم مغفرة لذنوبكم، والتنوين فيها للتفخيم، ويؤكد فخامتها بقوله: (منه)[42]. ومن الأفعال الكلامية الأخرى المتضمنة في القول نجد: التقرير و الاعتراض والتنبيه والتذكير.

التقرير: وهو فعل كلامي غير مباشر دلت عليه جملة التذييل (والله واسع عليم)، والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وهو صدق الوعد الإلهي.

الاعتراض: في قوله تعالى: (يؤتي الحكمة من يشاء ...) وهي جملة تذييل لما تضمنته آيات الإنفاق من المواعظ والآداب.

التنبيه: وهو فعل كلامي متضمن في القول، المقصود به التنبيه إلى أهمية ما وعظ الله به المؤمنين، وتنبيههم إلى أنهم قد أصبحوا به حكماء[43]. يستطيعون بتلك الحكمة أن يرجحوا وأن يفرقوا بين وعد الرحمن ووعد الشيطان، وهو أن وعد الرحمن ترجحه الحكمة والعقل، ووعد الشيطان ترجحه الشهوة والحس. وختم هذه الآية بجملة التذييل وهي قوله: (وما يذكر إلا أولوا الألباب) "للتنبيه على أن من شاء الله إيتاءه الحكمة هو ذو اللب، وأن تذكر الحكمة واستصحاب إرشادها بمقدار استصحاب اللب وقوته."[44]

التذكير: وهو فعل كلامي غير مباشر يبين الحكم الكلي الشامل لجميع أفراد النفقات في قوله تعالى: (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه)؛ أي يجازي عنه فهو كناية عن مُجازاته، وإلا فهو معلوم. والجملة تذييل للكلام السابق المسوق في موضوع الإنفاق، والمقصود من هذا التذييل أداء فعل إنجازي هو التذكير بأن الله لا يخفى عليه شيء من النفقات، وأدمج النذر مع الإنفاق. وقال تعالى: (فإن الله يعلمه) تذكير مراد به الوعد بالثواب[45]. وفعل كلامي غير مباشر هو **الوعيد** لهؤلاء المتحرين للخبيث، والمنفقين في باطل، فليس لهم أعوان ينصرونهم من عقاب الله، والجملة استئناف مقرر للوعيد المشتمل عليه ما قبله.

فالآية خارجة مخرج الترهيب من العذاب الشديد[46]. ويدل عليه استعمال لفظة (الظالمين)، وهو **وعيد** قوبل به الوعد الذي كنى عنه بقوله تعالى: (فإن الله يعلمه)، ووجه الظلم هو منع الصدقات الواجبة، فقد ظلموا مستحقها، والشرط العام للمحتوى القضوي هو وعيد في المستقبل بالعذاب الشديد، توعد الله به المخالفين لأمره، والشرط المعد له هو قدرته تعالى على تنفيذ ما ألزم به نفسه، فهو مسؤول عن إحداث المطابقة.

- **ومن أمثلة الوعد الشيطاني أيضا:**

قوله تعالى: (إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا و لأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان النعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق الله قيلا) [سورة النساء١١٧-١٢٢].

في هذه الآيات مجموعة من الأفعال الكلامية الوعدية، جاءت في سياق إخباري وصفي، وفيها توبيخ للمشركين على جهلهم وانحطاطهم[47] نختصرها فيما يلي:

في الآية ١١٧: إخبار + وعد. أي وعد من الشيطان بإضلال فئة من الناس.

في الآية ١١٨: إخبار + وعد بالإضلال + التمنية + تحذير + وعيد من الله.

في الآية ١١٩: وصف وعد الشيطان وتمنيه: بالغرور.

في الآية ١٢٠: وعيد إلهي + تخويف.

في الآية ١٢١: وعد إلهي بإدخال المؤمنين الجنة + تأكيد صدق وعده، وأحقيته وصدق أقواله.

والآيات أخبار. حكاية الله عن إبليس بقوله تعالى: (لأتخذن من عبادك نصيبا)، جاءت في سياق حكاية قصة طعمة بن أبيرق حين ارتد ومات كافرا، فأعاد آيات الوعيد للتأكيد، وهذا معناه أنه خص جانب الوعد والرحمة بمزيد التوكيد، وذلك يقتضي ترجيح الوعد على الوعيد. وفي تكرار القصة في هذا الموضع دعم للقوة الإنجازية لفعل الوعد.

وفي قول الشيطان (لأتخذن) فعل كلامي هو **الإدعاء**[48]. كما وصف الشيطان نفسه بأنه مضل، وأنه يلقي الأماني في قلوب الخلق فإن ذلك يورث فيهم الحرص والأمل. ثم حكى الله عن الشيطان **دعاويه** في الإغواء، ثم أتبع ذلك بفعل كلامي غير مباشر هو **التحذير** من متابعة الشيطان. بقوله: (ومن يتخذ الشيطان وليا فقد خسر خسرانا مبينا) ويكون وعد الشيطان لأتباعه بأن يعدهم ويمنيهم، بإلقاء الأماني التي لا تفيد إلا الغرور. والغرور هو أن يظن الإنسان بالشيء أنه نافع وممتع، ثم يتبين اشتماله على أعظم المضار، ومتابعة الشيطان في ادعاءاته اقتضى إيراد فعل كلامي آخر هو: **الوعيد** في قوله تعالى: (أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا).

ولما ذكر **الوعيد** أردفه **بالوعد** كعادته في قوله تعالى: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات ...) وأكد ذلك بأنه وعد حق، **فالوعد** الذي جاء في الجملة من الإنشائيات الأولية، لكنه لم يصرح بلفظ الوعد، ولكن المؤشرات اللغوية، وقرائن السياق، والمقام تحدد ذلك. فالوعد عادة يقال في سياق يعتقد فيه الواعد أن المخاطب يتطلع إلى هذا الوعد ويتعلق به، لذلك فإن الإنشائيات الضمنية تعتمد على المقام، إذ به تكون إنشائية أو لاتكون.[49] وإن المرجع في الالتزاميات (الوعديات) هو المتكلم، وفي هذا النوع لا يعمل المتكلم على التأثير في السامع كما في التوجيهيات.

وهذا الوعد تدعمت قوته الإنجازية بثلاث مؤكدات: في قوله تعالى: (وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا)

الأول: (وعد) مؤكد لنفسه، كأنه قال وعدا وعدا.

الثاني: (حقا) مصدر مؤكد لغيره، كأنه قال حق ذلك حقا[50].

الثالث: (ومن أصدق من الله قيلا) توكيد بليغ.

وفائدة هذه التوكيدات الثلاث معارضة ما ذكره الشيطان لأتباعه من المواعيد الكاذبة، والأماني الباطلة، والتنبيه على أن وعد الله أولى بالقبول، وأحق بالتصديق من قول الشيطان الذي ليس أحد أكذب منه. والدليل على أن وعد الشيطان وعد كاذب، هو قوله: (لأضلنهم ولأمنينهم)؛ أي "لأعدنهم مواعيد كاذبة ألقيها في نفوسهم تجعلهم يتمنون؛ أي يقدرون غير الواقع واقعا، إغراقا في الخيال ليستعين بذلك على تهوين انتشار الضلالات بينهم، يقال مناه إذا وعده المواعيد الباطلة، وأطمعه في وقوع ما يحبه مما لا يقع."[51] ومنه سمي بالتمني طلب ما لا طمع فيه، أو ما فيه عسر.

ويظهر الفعل الكلامي التأثيري الناتج عن القول Acte Perlocutoire في استجابة بعض الناس لأمر الشيطان، في قوله: (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام)، أي آمرهم بذلك فيفعلون ويمتثلون، كما تدل على ذلك **الفاء** أي سرعة التنفيذ، ودل على ذلك أيضا حذف المفعول به للأمر. وأوامر الشيطان المذكورة هي: قطع آذان الأنعام، وجعلها لغير الله، وتغيير خلق الله. وهنا تعريض بما كان يفعله أهل الجاهلية لدواع سخيفة كالوسم والوشم وغيره.

وجملة (ومن يتخذ الشيطان وليا ...) تذييل دال على التدين بشعار الشيطان[52]، وتصديق وعوده الكاذبة

وختم الجملة باستفهام إنكاري (ومن أصدق من الله قيلا ...)؟ وأما قوله: (يعدهم) فهو وصف "لما لا يكاد ينجزه، وقيل النصر والسلامة وقيل الفقر والحاجة ..."[53] وأخبر سبحانه عن وقوع الوعد، والتمنية مع وقوع غير ذلك مما أقسم عليه اللعين أيضا. وهذا الوعد والأمر كما يراه الألوسي قد يكون بالخواطر الفاسدة.

والجملة (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) اعتراض **لإبطال** وعد الشيطان وإظهار حقيقته. ولم يتعرض لذكر التمنية لأنها من باب الوعد. واستعمال الإشارة (أولئك) فيه معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم. ووصف الله الوعد الشيطاني بالغرور، لانتفاء الشرط المعد للمحتوى القضوي، والعجز عن إحداث المطابقة، ومن ثم فهو تغرير بالمخاطبين، والدليل على ذلك التركيب الاعتراضي السابق. وفي الأخير قرن الله وعيد الكافرين مع وعد المؤمنين زيادة

لمسرة أحبابه، ومساءة أعدائه (وعد الله حقا) أي وعدهم وعدا، وأحقه حقا، إذ ليس الوعد إلا الإخبار عن إيصال المنافع قبل وقوعه وقد أسهمت المؤشرات اللغوية في تعديل القوة الإنجازية للفعل كما يلي:

(ومن أصدق من الله قيلا) تذييل للكلام السابق ومؤكد له، ونصب قيلا على التميز، ولا يخفى ما في الاستفهام (مَن)؟ وتخصيص اسم الذات الجامع (الله)، وبناء أفعل (أصدق)، وإيقاع القول (قيلا) تمييزا من المبالغة، والمقصود معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه التي غرتهم حتى استحقوا الوعيد بوعد الله تعالى الصادق.

وأخيرا فإن غاية الوعد والوعيد في القرآن هي أن يتعرف الإنسان إلى حقيقة ما ينتظره من ثواب وعقاب، فسيقت الآيات لإعلام الإنسان بأن له وعد الخير فيما لو أحسن، وضده إن أساء، كما أن غايته تحقيق التوازن النفسي، فهذا يحقق للإنسان الإستقرار، والاتجاه إلى العمل.

فالقرآن يسعى إلى تقديم الوعيد بالطريقة التي يكون أبلغ تأثيرا بها، وأعمق في النفوس، بحيث تدل عليه قرائن مختلفة، مثل: قرينة الالتفات، ألفاظ الويل، العذاب الموصوف بالعظمة والشدة والألم، وكل ما ترتب عنه عقوبة قاسية، كما يرمي القرآن إلى تحقيق العدالة الإلهية بواسطة ثنائية وعد/ وعيد. بتخويف العاصين وتبشير المؤمنين.

ومن ثم فليس الوعد غاية في حد ذاته، إنما هو وسيلة لحمل الناس على الامتثال للتعاليم الإلهية.

الخاتمة:

تبين من خلال هذا العرض، أن الوعد والوعيد فعلان كلاميان يصنفان في البلاغة العربية ضمن الأسلوب الخبري كما قال السيوطي وغيره، وهما في مدرسة أكسفورد يعدان من الإنشائيات الالتزامية التي يكون فيها المتكلم بمجرد التلفظ بها قد ألزم نفسه بفعل شيء. ومن ثم ينجز فعلا بالقول. ويلاحظ من خلال العرض مايلي:

- الوعيد أسلوب من أساليب التعبير، يلجأ إليه المتكلم حين لا يجدي الترغيب وحده، ذلك أن من النفوس ما لا يجدي معها الترغيب، بل لا بد لها من الترهيب والوعيد.
- أن أغلب الوعديات في القرآن هي إنشائيات ضمنية، والقليل منها هي إنشائيات صريحة.
- إن أغلب الوعديات هي وعود إلهية دنيوية وأخروية، أما الوعود البشرية والوعود الشيطانية فهي قليلة.
- تسهم المؤشرات اللغوية والصور التركيبية وظواهرها في تعديل القوة الإنجازية للوعديات.
- الوعيد لا يأتي فعلا منفردا معزولا، وإنما يرد في سياق الموقف وفي سلسلة من الأفعال والمحاورات، ومن ثم تتضح الدلالة من خلال العلاقة بين العلامات ومستعملها.
- تؤدي أفعال الوعد والوعيد وظيفة حجاجية براغماتية غرضها تعديل سلوك المخاطبين، وتغيير قناعاتهم بما يتفق مع توجهات وتعاليم القرآن.
- أفعال الوعد والوعيد ذات محتوى قضوي ديني، يتضمن الحث على الامتثال لتعاليم الدين ترغيبا وترهيبا. وتكون فيها القوة الإنجازية الصريحة ملازمة للمعنى المستلزم مقاميا.
- من خلال النصوص المدروسة تبين أن الوعيد أكثر من الوعد، وأشد.
- وعود الشيطان ليست وعودا، لافتقارها إلى الشروط التأسيسية ولأنه غير قادر على إنجاز وعوده إنما هي إدعاءات كاذبة.

- كثرة أسلوب الشرط في الوعديات، لتقوية الغرض الإنجازي، وليدل به على أن الإنسان إنما يحاسب على حسب ما قدمه في الدنيا من أفعال، وقد يرتفع الشرط بالوعيد إلى أقصى درجات شدة الغرض، وتقديم الوعيد بالطريقة التي يكون بها أبلغ تأثيرا كما في قوله تعالى: (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما)[النساء ٩٣].

وأفعال الوعيد الناجحة هي التي تقوم على شروط تمهيدية، وذلك بأن يكون المتكلم ذا سلطة على المأمور، معتقدا قدرته على فعل الموعود به، فصاحب الوعد هنا هو الله عز وجل وهو صاحب السلطة المطلقة، والقادر على إنجاز ما وعد به من وعود عاجلة أو آجلة. مشروطة أو غير مشروطة، فمن الوعود المشروطة قوله تعالى: (إن تنصروا الله ينصركم) أما غير المشروطة فمثل قوله تعالى (إن ينصركم الله فلا غالب لكم). أما القصدية في أفعال الوعيد فهي أن يكون الواعد قصد تنفيذ ما وعد به، وهذا أمر معلوم في صفات المتكلم الذي لا يخلف الميعاد. وتتعدل القوة الإنجازية لفعل الوعيد، فقد يكون وعيدا، وقد يكون وعيدا شديدا مدعوما بمؤشرات لغوية تقويه أو تؤكده، أو تبالغ فيه، أو ترتب عليه عقابا شديدا. وتتفاوت مستويات القوة الإنجازية للوعديات، حيث تكون الأفعال في أوج قوتها، عند التعبير عن الالتزام مدعما بالقسم أوغيره من المؤكدات، وقد تتراخى درجة الشدة في هذه القوة الإنجازية، عندما يقوم المتكلم بمجرد الوعد.

الهوامش:

[1] – ينظر: صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. ٢٠٠٤م. ص٣١.

[2] – ينظر: الموقع الإلكتروني www.ALukahnet . جميل حمداوي . من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة . في ٢٠١٣/١٠/٢٣.

[3] – نعمان بوقرة. نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية. مجلة اللغة والأدب. عدد ١٧ / ٢٠٠٦م. ص ١٧٠.

[4] – عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج. ص ٦٥.

[5] – حسان الباهي. الحوار ومنهجية التفكير النقدي. افريقيا الشرق. المغرب. ٢٠٠٤م. ص١٢٣.

[6] – محمد العبد. تعديل القوة الإنجازية. مجلة فصول. عدد ٦٥ / ٢٠٠٤. ص ١٣٨.

[7] محمود نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ط ١/ ٢٠٠٦م. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية. ص ٩٧.

[8] - نفسه. ص ١٠٥.

[9] - نفسه. ص ٩٧.

[10] - جورج يول. التداولية. ترجمة: قصي العتابي. ط١/٢٠١٠ الدار العربية للعلوم ناشرون. الرباط. ص ٩٠.

[11] - بول ريكور. نظرية التأويل – الخطاب وفائض المعنى – تر: سعيد الغانمي. ط٢ / ٢٠٠٦م . المركز الثقافي العربي. المغرب. ص ٤١.

[12] - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي. نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب. مطبوعات جامعة الكويت. ص ٣٠.

[13] - Voir : John Searle. Speech Acts. An essay in the philosophy of language Cambridge University Press 1972 . P 56.

[14] - كريم حسين ناصح. الخطاب النفسي في القرآن الكريم. ص ١٠١.

[15] – القرافي (أبو العباس). الفروق وأنوار البروق في أنواء الفروق. صححه: خليل المنصور. دار الكتب العلمية. ط١/ ١٩٨٩ م. ٤ / ٢٤.

[16] – تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ط٢/ ٢٠٠٣م. عالم الكتب. مصر. ٢/ ٢٧٩.

[17] – ينظر: الألوسي. روح المعاني. مرجع سابق. ١١/ ٦.

[18] – ينظر: نفسه. ١٠ / ٤٦٧.

[19] – ينظر: الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر والتوزيع. ٦١٩/١.

[20] - نفسه. ٧/١١.

[21] – ينظر: طه عبد الرحمن. اللسان والميزان. ص ٢٥٠.

[22] – ينظر: الألوسي. مرجع سابق. ١١/ ٦.

[22] - هاشم طبطبائي. نظرية أفعال الكلام. ص ٢٠.

[23] - نفسه. ص ٢٢.
[24] - عبد الهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب. ص ١٥٨.
[25] - ينظر: الطاهر بن عاشور. مرجع سابق. ١١/ ٧.
[26] - ينظر: الألوسي. مرجع سابق. ١١/ ٦.
[27] - ينظر: نفسه. ١١ / ٧.
[28] - تمام حسان. البيان في روائع القرآن. مرجع سابق. ٢/ ٢٨٠.
[29] - ينظر: الألوسي. مرجع سابق. ١٧ / ٦٣.
[30] - ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. مرجع سابق. ١٦ / ٧٠.
[31] - محمد حسن عبد العزيز. كيف ننجز الأشياء بالكلمات. مجلة كلية دار العلوم. جامعة القاهرة. عدد ١٩.
[32] - ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. مرجع سابق . ٢/ ٢٨١.
[33] - ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. مرجع سابق. ١٦ / ٢٩١.
[34] Voir : J.Searle . Speech Acts. p 99 .
[*] من مقتضيات الشرط الأساسي عند سيرل أن يكون سلوك المتكلم، أثناء وبعد تحقيقه لأحد الأفعال منسجما مع ما يفرضه ذلك الفعل بحيث يتعين على المتكلم الواعد أن يدرك أن تلفظه بفعل الوعد يضعه أمام فعل واجب عليه تنفيذه. هذا خاص بالمتكلمين من البشر. أما الله تعالى فلا يجب عليه شيء.
[35] - ينظر: ادريس سرحان. التأويل الدلالي – التداولي للملفوظات. ضمن التداوليات علم استعمال اللغة. ص ١٦٨.
[36] - ينظر: فخر الدين الرازي. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب . ط١/١٩٨١. دار الفكر للطباعة والنشر. ٢٤٦/٥.
[37] - علي محمود الصراف. الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة. مكتبة الآداب. القاهرة. ط١ / ٢٠٠٩. ص ٤٨.
[38] - الألوسي. مرجع سابق. ٢٠٦/١.
[39] - ينظر: تمام حسان. مرجع سابق. ٢/ ٢٠٤.
[40] - الألوسي. مرجع سابق. ٢٠٦/١.
[41] - الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ٣ / ٦١.
[42] - ينظر: الألوسي. روح المعاني. ٣ / ٥٠.
[43] - ينظر: ابن عاشور. المرجع نفسه. ٣ /٦٢. وينظر أيضا تفسير الرازي.
[44] - ابن عاشور. ٦٤/٣.
[45] - ينظر: تفسير الألوسي. مرجع سابق. ٣ / ٥٥. وينظر أيضا: ابن عاشور. ٣ /٦٥.
[46] - ينظر: نفسه ٣ / ٥٥. وينظر أيضا نفسه. ٣/ ٦٦.
[47] - ينظر: الألوسي. مرجع سابق. ٥ / ٢٠٧.
[48] - ينظر: الرازي. مرجع سابق. ٦ / ٤٧.
[49] - ينظر: محمود نحلة. مرجع سابق. ص ٦٧.
[50] - ينظر: الزمخشري. الكشاف. ١/ ٢٠٩.
[51] - الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. ٢ / ٢٠٥.
[52] - ينظر: نفسه. ٣ / ٢٠٧.
[53] - الألوسي. مرجع سابق. ٥ / ٢٠٧.

المراجع:

١. الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم. ٢٠٠٥م. دار الحديث. القاهرة. مصر .
٢. القرافي (أبو العباس). الفروق وأنوار البروق في أنواء الفروق. صححه: خليل المنصور. دار الكتب العلمية. ط١/ ١٩٨٩م.
٣. ادريس سرحان. التأويل الدلالي – التداولي للملفوظات. ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة. ط١/٢٠١١. عالم الكتب الحديث. الأردن.
٤. بول ريكور. نظرية التأويل – الخطاب وفائض المعنى– تر: سعيد الغانمي. ط٢ / ٢٠٠٦م . المركز الثقافي العربي. المغرب.
٥. تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ط٢/ ٢٠٠٣م. عالم الكتب. مصر.
٦. جورج يول. التداولية. ترجمة: قصي العتابي. ط١/٢٠١٠. الدار العربية للعلوم ناشرون. الرباط. المغرب.
٧. حسان الباهي. الحوار ومنهجية التفكير النقدي. افريقيا الشرق. المغرب. ٢٠٠٤ م.
٨. طالب سيد هاشم الطبطبائي. نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب. مطبوعات جامعة الكويت.
٩. الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر والتوزيع.
١٠. طه عبد الرحمن. اللسان والميزان. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب.
١١. صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. ٢٠٠٤ م.
١٢. عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج.
١٣. عبد الهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية. ط١/٢٠٠٤م. دار الكتاب الجديد. بيروت.
١٤. علي محمود الصراف. الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة. مكتبة الآداب. القاهرة. ط١ / ٢٠٠٩.
١٥. فخر الدين الرازي. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. ط١/١٩٨١. دار الفكر للطباعة والنشر.
١٦. كريم حسين ناصح. الخطاب النفسي في القرآن الكريم. ط١ / ٢٠٠٧. دار صفاء للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.
١٧. محمود نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ط ١/ ٢٠٠٦م. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية.

المجلات:

١٨. محمد العبد. تعديل القوة الإنجازية. مجلة فصول. عدد ٦٥ / ٢٠٠٤.
١٩. محمد حسن عبد العزيز. كيف ننجز الأشياء بالكلمات. مجلة كلية دار العلوم. جامعة القاهرة. عدد ١٩.
٢٠. نعمان بوقرة. نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية. مجلة اللغة والأدب. عدد ١٧ / ٢٠٠٦م.

المواقع الالكتروني:

٢١- www. ALukahnet . جميل حمداوي. من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة. في ٢٠١٣/١٠/٢٣.

المراجع الأجنبية:

٢٢- John Searle. Speech Acts. An essay in the philosophy of language Cambridge University Press 1972